



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية مُحَكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد السادس والثمانون / السنة الواحدة والخمسون

مُحَرَّم – ١٤٤٣ هـ / أيلول ٢٠٢١ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: السادس والثمانون السنة: الواحدة والخمسون مُحَرَّم - ١٤٤٣هـ / أيلول ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فينثرز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/ فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمار أحمد محمود	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

- ١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .
- ٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سَجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .
- ٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- ٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
 - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .
 - تُرتَّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
 - يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .
- ٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
 - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
 - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
 - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .
 - يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيّة أو فرضيّات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
 - يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.
 - يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
 - يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتّبع فيه .
 - يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
 - يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثيّة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
 - يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثيّة أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .
- ٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
35-1	التدرُّج الدلالي لألفاظ الغضب عند ابن سيده في مخصَّصه روعة محمود الزرري و هالة عبد الغني محمد علي
79 - 36	الأنساق المضمرة في قصة عين لندن - قراءة ثقافية- قاسم محمود الجريسي
99 - 80	ملاحح الحزن في شعر الشريف المرتضى حمد محمد فتحي الجبوري
125 - 100	ظاهرة الحزن في شعر مزاحم علاوي الشاهري فاتن غانم فتحي النعيمي
158 - 126	رمز المرأة "ليلي" في الشعر الصوفي عصمت حسين ميرزا
188 - 159	التناغم الذهني وفاعلية التشكيل الشعري – كعب بن مالك أنموذجًا - فنن نديم دخام آل إبلش
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
235 - 189	دور ليبيا في حرب أكتوبر 1973: دراسة في العلاقات الليبية المصرية في ظل فتور العلاقة الشخصية بين الرئيسين السادات والقذافي نبيل عكيد محمود
255 - 236	أبو حشيشة الطنبوري مغني الخلفاء في العصر العباسي (ت 290هـ/ 902م) رائد محمد حامد حسن الطائي
270 - 256	أثر الاصلاحات على نظام ملكية الاراضي في العصر الايلخاني في العراق (656-716هـ/ 1258-1316م) مصطفى هاشم عبدالعزيز
317 - 271	فرنسا والقضية الفلسطينية 1991-2004م دراسة في العلاقات والمواقف عامر يوسف شمدين
بحوث علم الاجتماع	
344 – 318	واقع البحث العلمي في جامعات المدن المحررة دراسة اجتماعية تحليلية غادة علي سعيد و حارث حازم أيوب
377 - 345	الجرائم المستحدثة وانعكاساتها المجتمعية وسبل مواجهتها دراسة تحليلية حسن انهيّر عيدان و وعد إبراهيم خليل
403 - 378	الأمن الاقتصادي وتداعياته التنموية دراسة في علم اجتماع التنمية آرام إبراهيم حسين
428 – 404	الأوضاع الاجتماعية للأسرة الموصليّة وانعكاساتها على الأطفال (ما بعد التحرير) دراسة اجتماعيّة – ميدانيّة في مدينة الموصل نبال فوزي محمود
بحوث المعلومات والمكتبات	
472 - 429	المعايير الموحدة للمكتبات المدرسية في العراق ((معايير مقترحة)) عائدة مصطفى سلمان و حيدر نجم عبدالله العقيلي
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس	

515 - 473	أثر برنامج تربوي في تنمية التضامن الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الإعدادية أحمد وعد الله الطريا و أحمد اياد سالم الحسين
551 - 516	تصميم برنامج تربوي مستند الى نظرية جيلفورد لتنمية مهارات التفكير العليا لدى معلمات المرحلة الابتدائية ظفر حاتم فرنسو و صبيحة ياسر مكطوف
بحوث الجغرافية	
585 - 552	تقييم نوعية المياه الجوفية للاستخدامات المختلفة في ناحية ربعة وائل حازم الجوارى و صهيب حسن خضر
604 - 586	التمثيل الخرائطي للتغير السكاني في محافظة نينوى للمدة (2010 – 2018) قحطان مرعي عمر الجرجري
بحوث الإعلام	
635 - 605	التغطية الصحفية لجائحة كورونا في المواقع الالكترونية للصحف العراقية/ موقع صحيفة الصباح نموذجاً محمد سمير

ملاحم الحزن في شعر الشريف المرتضى

حمد محمد فتحي الجبوري *

تأريخ القبول: 2021/5/22

تأريخ التقديم: 2021/4/1

المستخلص:

تبين الدراسة ملاحم الحزن في شعر الشريف المرتضى، وتحاول دراسة الشواهد الشعرية وأداتها، ووظيفتها في تشكيل بواعث الحزن التي انقسم البحث فيها على ثيمتين الأولى: بكاء الشيب والثانية: بكاء الأحبة إذ أوضحت النصوص الشعرية عوامل ومرجعيات تطرق إليها الشاعر من خلال نصوصه عبر تلك الملاحم الحزينة، ورسمت معالم ولوحات مؤلمة عبر التوجع والألم بصور متعددة، ومتنوعة ولوحات اغنت النص بلغتها الباكية؛ لأن اللغة الشعرية حاملة لوجوه عدة عبر التحليل والتأويل، بصورة مباشرة وغير مباشرة؛ مكونة لأطر مشهيدة حزينة متحركة متألفة، ومتخالفة من نص إلى آخر. ومحتوية لمعان ذات دلالات، وإيحاءات وإشارات متغايرة تعطي النص خصوصية متميزة، فضلاً عما ترفده بسمات وفقرات هي بمثابة ثيمات عميقة وسطحية بشكل أو بآخر.

الكلمات المفتاحية: صورة، شعرية، خيال.

مفهوم الحزن بين اللغة والاصطلاح:

لقد أشار أصحاب المعاجم في معجماتهم ولاسيماً معجمات اللغة إذ أكدوا أن مفهوم الحزن يأتي بمعانٍ متعددة، وكان من بين تلك المعاني هو الكآبة وسوء الحال، والانتكاس أي كئيب وكآبة اكتئاباً، وحزن وحزان وحزين وهذه الألفاظ كلها تدور في إطار الكآبة والحزن⁽¹⁾. ويأتي المعنى نفسه بمعجم آخر ربما لا يختلف عما سبق في مفهوم معنى الحزن إذ يؤكد بقوله: "إنَّ الحزن ضد السرور وقد حزن حزناً

* أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(1) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: 161/3.

فهو حزين⁽¹⁾. في حين مفهوم آخر للحزن بأنه "التوجع والشكوى والتحزين ويقال فلان يتحوب من كذا أي يتغيظ منه"⁽²⁾. وهناك تعريف آخر قد لا يختلف كثيراً عن التعريفات المذكورة آنفاً فقد جاءت لفظة الحزن "تقيض الفرح وخلاف السرور والجمع أحزان وقد حزن حزناً بالكسرة وتحازن وتحزن، ورجل حزان ومحزان شديد الحزن، وحزنه الأمر حزناً فهو حزين وحزن"⁽³⁾. لذلك يبدو أن المقصود بتعريف المعجمات اللغوية للحزن بأنه ما يدور في إطار الكآبة والنقيض للفرح، والسرور، والألم والشكوى، والمبالغة في التحزن من خلال الاشتقاقات الواردة في التعريفات، وهذا يعطينا انطباعاً واضحاً لمعنى الحزن الذي شكل عنصراً واقعاً من عناصر الكآبة والاكئاب بصورة مباشرة وغير مباشرة بالشكل الذي قامت عليها الدراسة، وهذا ما تحقق في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾. وكثير من الآيات القرآنية وردت فيها لفظة الحزن لكن أعطينا آية واحدة على سبيل المثال.

وأما المفهوم الاصطلاحي للحزن فهو يتعلق بما يؤكد علماء الفلاسفة بأنه "عبارة عن ما يحصل من وقوع مكروه ما على النفس البشرية بصورة مباشرة وغير مباشرة أو فوات محبوب في الماضي ممّا يدعو ذلك لاستذكاره بصورة أليمة تبعث على النفس الحسرة والاكئاب"⁽⁵⁾.

في حين يؤكد بعض النقاد المحدثين بأن الحزن هو ألم نفسي يوصف بالشعور بالبؤس والعجز، غالباً ما يعد الحزن هو عكس الفرح أي إنه شبيه بهم، والأسى والكآبة، اليأس ولا يختلف كثيراً عن معنى الشعور بعدم الرضا عما يحدث

(1) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي: 167/11.

(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 64/1.

(3) لسان العرب، ابن منظور: 612/3 (مادة حزن).

(4) سورة يوسف، الآية 86.

(5) التعريفات، الجرجاني: 110/1.

إما لمشكلات أو ظروف خارجة عن إرادة الإنسان تجعله خارج عن إرادته أي تحت ضغط نفسي⁽¹⁾.

إن نستطيع أن نستشف من معنى الحزن في الاصطلاح هو ما يتعلق بكل ما هو شعور بالبؤس ، والعجز مع الألم النفسي الذي ينتاب الإنسان نفسه ، من خلال وقوع ذلك الحزن عليه فيعبر به عن البكاء والحسرة والتوجع والألم، لذا يتبين لنا من ذلك الحزن هو مقاربة لحالة نفسية مفادها أنها ترتبط بالعاطفة الإنسانية عند فقدان عزيز محبوب في الماضي ، فتكون تلك الحالة قد آلمت بالحسرة والتوجع والشكوى، والغم، وسوء الحال، والانكسار بشكل أو بآخر، ولذا التأثير في المتلقي والقارئ، وقد قيل بأن الحزن إنتاج التجربة الكبيرة ووليدها ، فضلاً عن الخبرة بالناس والأشياء؛ لأنه دليل على المعرفة بالحياة. وهذا المعنى المتقارب مع المعاني المذكورة آنفاً سواء أكانت المعاني للحزن في المعجمات اللغوية أم المعجمات الفلسفية والنفسية كلها تدور في إطار الكآبة والألم والحال النفسية والبؤس والهم.

بكاء الشيب:

إن من ملامح الحزن في شعر الشريف المرتضى هو ظهور الشيب أحد عوامل الكآبة والألم الظاهر في نصه الشعري بقوله⁽²⁾:

يا قاتل الله الغواني لقد	سقينني الطرق بُعيدَ الحمام
أعرضني حين ولّى الصّبا	واختلج الهمُّ بقايا العِرام
وشاعت البيضاء في مفرقي	شعشعة الصُّبح عضب حُسام
ألقي بذلّ الشيب من بعدها	من كنت ألقاه بدلّ الغلام
ترى جميم الشعر لما ذوى	يراجع العظم بعد الثّغام
كم حدن بالأجياد لي والطلّى	فاليوم يبخلن برّد السلام

(1) ينظر ماهية الحزن، د.سران البشر، المجلة العربية، المغرب، العدد 524، لسنة 2020، ص

1.

(2) ديوان الشريف المرتضى، تحقيق: رشيد الصفاري، 313.

هنا نلمح من خلال أداة النداء التي في معانيها ألم وتوجع وحسرة على زمن الشباب عندما يدعو على الغواني اللاتي رأينه في تقدم عمره وقد أعرضن عنه دون النظر إليه بعدما كان مصدراً للجذب لهن فأصبح الهم يزاوله بين الحين والحين ، وكأنه يجري مقابلة ما بين شباب الانسياق والنظر إليه ، وزمن الشيب وعدم النظر إليه ، فالألفاظ والعبارات والاشارات الواردة في ثنايا النصوص الأبيات الشعرية عبرت عن مدى الآلام التي يقاسيها والحزن العميق على مستوى الازمة النفسية ، والقلق الداخلي الذي ينتاب النساء مع العلاقة الخارجية التي تحيط به وهنا ثمة الاصطراع النفسي داخلياً وخارجياً وهذا ما يطلق عليه بالمأزوم النفسي في سبيل الوصول إلى العلاج ، لكنه صور ذلك من خلال الأفعال (سقينني، اعرض، اختلج، شاعت ، ترى، كنت، يراجع، حدن، يبخلن) من أجل تكثيف المعاني وزيادة درجة التوتر، والقلق الحاصل الدال على ملمح من ملاح الحزن من جراء ذلك الشيب ، باستعمال أدوات التشبيه وضمائر الغائب الدال على الزمن الماضي (الشباب) كل تلك الأدوات هي مقومات لتشخيص ذلك الحزن.

ولأن ركيزة الحزن هي حصيلة وعي الشاعر في تشكيل عباراته المؤلمة ولهذا ظهرت هذه الركيزة في النص الشعري بشكل مؤثر، ولأحظنا التركيز المحزن في بؤرة النصوص جميعها تركزت على رؤية محددة يبينها الشاعر من أول كلمة في الأبيات إلى آخر كلمة فيها؛ كاشفاً فيها عن إحساسه الداخلي في توليف الجمل والأفكار الحزينة ولاسيما (أعرضن عني حين ولي الصبا) وكذلك قوله (ألقى بذل الشيب) و(فاليوم يبخلن برداً السلام) وهذا يدل على إن مرتكز الشاعر يكمن في تشكيل ذروة حزنه ليصل إلى الإثارة في الختام؛ لتكون القفل الذي يعتمد عليه قرار الأبيات؛ لأن الشعر العظيم هو الشعر الذي يكون نابعاً من الوجدان ومعبراً عن تجارب ذاتية، بأسلوبية فنية عالية، باختصار أن يكون حياً؛ فالمخيلة غصن في الأعالي، وجذر في

أعماق الروح⁽¹⁾ فضلاً عن ذلك انتهاء قافية اللام الدالة على السكون هي الأخرى مصدر للحزن وتأسيسها في إيقاعي شعوري مكثف باعتداده القافية السكونية؛ لإبراز حالة من القيدية والمحيط الزمني الذي يحسه في عالمه الاغترابي الحزين.

ومن ملامح الحزن عند الشاعر اعتماده جملة مركزية التي يعقد عليها القصيدة في توليف مرتكزاتها الدلالية في لمحة دلالية حزينة وبؤرة مركزية وفيها يقول⁽²⁾:

لا يبعدنَّ الله بُرد شبيبة	ألقىته بمنى ورحت سليباً
شعر صحبتُ به الشباب غُرانقاً	والعيش مخضر الجنب رطيباً
بعد الثلاثين انقراض شبيبة	عجباً أميم لقد رأيتُ عجيباً
فالיום اطلب الهوى متكلفاً	حصرأ وألفى الغانيات مريباً
إما بكيت على الشباب فإنه	قد كان عهدي بالشباب قريباً
أو كان يرجعُ ذاهب بتفجع	وجوى شققت على الشباب جيوباً
ولئن حننت إلى منى من بعدها	فلقد دفنتُ به الغداة حبيباً

يبدو أنَّ ملامح الحزن في هذه الأبيات تبدو واضحة من خلال ألمه وتعجبه على الشيب الذي رآه في منى، ولاسيماً عند حلقه وقارن ما بين الشيب والشباب ما بعد الثلاثين فالآهات الدالة على الألم تصاعدت وتيرتها عند الشاعر في سبيل إيصال المعنى إلى المتلقي من خلال الألفاظ من البيت الأول، ومروراً بالبيت الثاني، وحتى الثالث والرابع الذي يحدد أنَّ الغانيات لم يعدن ينظرن إليه ما حدا به أن يلفظ به (بكيت) فالبكاء هنا يدل على الماضي الذي دل على التحقق فضلاً عن الاضطراب النفسي داخل نفسية الشاعر، وهو يبيت حزنه وبكائه من تعجبه لذلك الشيب وذهاب نظرة الشباب، وكأنما نجده مخاطباً إياه بين لونين أحدهما أبيض وهو الشيب والثاني

(1) ينظر ملفات حوارية في الحداثة الشعرية (ملف حوار بشرى البستاني)، عصام شرّتح، دار الأمل الجديدة، 2012، ص 359.

(2) ديوانه: 180/1.

أسود وهو الشباب لجسد لنا حزنه بهذين اللونين وهو تضاد فالشيب يمثل الشيخوخة في حين الأسود يمثل الشباب وهذا يرجع إلى الحالة النفسية التي يسكن بها نفس الشاعر فإن "كل لون معنى نفسي يتكون نتيجة للتأثير الفيزيولوجي للون على الإنسان، وهذا التأثير يترك خبرة شخصية تمتزج بشعور داخلي أو تخمين عام ويتكون المعنى النفسي للون من هذه المجموعة من الخبرة والشعور الداخلي أو التخمين العام"⁽¹⁾. فهذا لون الحقيقة عده بكاءً أبرز في ثنايا الأبيات الشعرية استثمرها بتصعيد تعجبي في مقام منى بتصوير حزين يرقى فيه إلى ذرى الحساسية المؤلمة؛ وهذا ما يلحظه القارئ منذ البدء عبر عدة ألفاظ (شعر، شباب، مفخر، رطيباً، انقراض، شيبه، عجيبي، متكلفاً، حصراً، ذاهب بتفجع) إذ إن الألفاظ دالة على معانٍ ترتبط بمعنى دال على البكاء، والألم فضلاً عن التعجبية الأسلوبية لماهية الشاعر التي باح بها بصورة مباشرة من دهشة، وغرابة المفعم بالولاه والحنين للشباب والألم للشيب.

فإن ملاح الحزن في تشكيل صورته الشعرية البصرية، التي اعتمدها الشاعر الشريف المرتضى في أغلب صورته الشعرية في حزنه على الشيب، وربما قد كانت هي الأوسع والأشمل من بقية الصور الحسية الأخرى؛ لأنَّ العين الباصرة هي ملكة الاحساس للأشياء، وهي المحيطة بما يبدي لها من رؤية قائمة على التأثير في الشيء المحسوس الذي تراه بالدرجة الأساس وهذا ظهر جلياً وواضحاً في الأبيات الشعرية لنص الشاعر⁽²⁾. لذا يعد الشيب بحد ذاته من أكثر العناصر الحزينة جذباً للحاسة الشعرية؛ لأنَّه يتعلق بالمظهر الخارجي أمام من ينظر وبأنَّه يؤدي دوراً فاعلاً في تشكيل مواطن الجذب الشعري في المشهد والصورة المميزة بشكل أو بآخر⁽³⁾ لكن الشاعر دافع عن موقفه بشكل ملائم على الرغم من حزنه وبكائه.

(1) الألوان نظرياً وعملياً، إبراهيم الدملخي، 67.

(2) ينظر: الصورة الشعرية في الغزل العذري، د. دلال هاشم كريم الكنان، 111.

(3) ينظر: اثر الرسم في الشعر العراقي الحر، احمد جار الله ياسين، اطروحة دكتوراه، 71.

وفي سياق آخر يأتي الشيب في تصوير لوحة حسية بصرية حزينة يتحدث فيها الشريف المرتضى إذ يقول⁽¹⁾:

أشيبّ ولما تمضِ خمسون حَجَّةً
ولو أنصفتني الأربعون لنهنت
قرعتُ له سني ولو أستطيعه
يقولون: لا تجزع من الشيب ضلَّةً
قالوا: أتاه الشيب والحلم والحجى
وما سرُّ حلمٍ فيء فيه إلى الردى
إذا كان ما يعطيني الحلم سالباً
وقد جربت نفسي الغداة وقاره
واني مذ اضحى عذاري قراره
وسيان بعد الشيب عند حبائبي
وقد كنتُ ممن يشهدُ الحرب مُرَّةً
إلى أن علا هذا الشيبُ مفارقي

ولا قاربتي إنَّ هذا من الظلم
من الشيب زوراً جاء من جانب الهمِّ
قرعتُ له ما لم تر العينُ من عظمي
وأسهمه إِيَّاي دونهم تصمي
فقلتُ: بما يبيري ويُعرق من لحمي
كفاني ما قبل المشيب من الحلم
حياتي فقل لي: كيف ينفعني حَزَمي
فما شدَّ من وهني ولا سدَّ من ثلمي
أعاد بلا سُقمٍ واجفى بلا جرمٍ
وقفن عليه أو وقفن على رسمٍ
ويرمى بأطراف الرياح كما يرمي
فلم يدعني الأقوام إلا إلى السَّلمِ

يبدو أن المشهد من بدايته إلى نهايته مشحون بطاقة حزينة أليمة في وصف الشيب ولعل في استعمال أدوات التوكيد وجملته مقول القول كلها في اطار التوكيد ، والتأكيد على عظم الألم الذي وقع على نفسية الشاعر، فهاجس الألم المتجسد في الألفاظ الواضحة في الأبيات الشعرية باعث من بواعث الحزن الرئيسة وجانب من جوانب الهم الذي يعتريه من ناحية علو السن وكبره ، الذي ظهر واضحاً في قوله (قرعت سني) أي أنني قرعت سني هماً وحزناً ، وينتقل ليؤكد لو استطعت لقرعت عظمي ما هو خاف غير ظاهر للعيون، أو ما تراه العين وهنا بؤرة وبوتقة الحزن؛ لأنَّ "الشعر لا يستمد وجوده إلّا من عناصر مادية تشكل المستوى المحسوس للنص،

(1) ديوانه: 229/3.

كلماته، صورته، إيقاعاته، صياغته اللغوية⁽¹⁾. فضلاً عن ذلك يكمل في البيت الرابع أنَّ المعزي لي عن الشيب بنجوة عن تلك السهام وبُعد من إيلاسه العميق جعل من النص ارتباطاً وثيقاً بشبكة الأبيات التي سبقته ، نستطيع القول بأنَّ المشهد هو مشهد كلي شمولي لألم الشيب مروراً بالبيت الخامس، والسادس قد وصل الأمر به أنَّ من كان به شيب فإنه كالمريض الذي لا بد له من عائد يعود؛ كي يخفف من وطأة مرض الشيب وتألم من حوله به لذا نستشف من ذلك كله أنَّ المعاني والدلالات والايحاءات شكَّلت تمازجاً عبر القلق النفسي الذي انتابه ولا ننسى دور الأفعال والحروف الدالة على الصمود والثبات، والحركة، والحروف الدالة على الاتكسار أمام الشيب وصولاً إلى تحقيق الانسجام سواء أكانت أفعالاً أم أسماءً أم أحرافاً.

فاختياره في النهاية لألفاظ الحزن لم يأتِ اعتباطاً وإنما هو نتيجة قصدية، ناتجة عن إحساس مرهف حزين إنما قصد "أن يربط التشكيل اللغوي بوقع الحالة الشعورية التي يعانيتها، فجاءت دلالات الاغتراب، والقلق، والضيق، لتفعل هذه الإضافات، وتشي ببعدها النفسي والدلالي؛ الذي على ما يبدو ينم عن إحساس بالاتكسار والعجز، وشدة المعاناة"⁽²⁾. إذاً تلك النبرات الحزينة الشجية تجاه الشيب إنما هي ترجمة لصور ذاتية عبرت عن مأساة الشاعر الناتجة عن ضعفه، ومعاناته في وصف لذلك المشهد الحزين الذي هو فيه ، انطلاقاً من القول أن "كل نص ذهنيته التي تبنى فيه؛ وأن لكل صاحب نص ذهنية يكون بها نصه؛ يستمدّها من سياقه الاجتماعي وموقفه الفكري؛ فذهنية النص إذاً هي مجموعة الترابطات الشعورية الظاهرة والباطنة التي تحرك حركة النص؛ فتظهر في البناء بمختلف أبعاده المضمونية والشكلية ويتدخل في هذه الحركة الظاهر والمضمر، الوجداني والعقلي، الحاضر والمتروك في النص"⁽³⁾.

(1) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة المعاصرين، د. عصام شرحت، 75.

(2) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة المعاصرين، 132.

(3) ذهنية النص في رسائل حمزة شحاتة إلى ابنته شيرين، علي سرحان القرشي، مجلة علامات في

النقد، ج 60، مج 15 يونيو، 514.

لذا فإنَّ النفس هي التي تكونت وتصبرت وتلوَّعت أراد من ذلك المشهد أن يجعل من شبيهه ملحماً لصفة شيء عزيز أو حالة قد يراد بها تأكيد المعنى المراد في إحداث تأثير واضح ومقنع لدى المتلقي، كي يتفاعل مع وقع ذلك المشهد الحزين؛ لأنَّ المتلقي هو الذي يستقبل الصورة القائمة على الشيب كونها رابطة تقوم مقامها فهي تربط عناصر التجربة الشعرية التي تتمخض عن حالات التوتر التي تشع بدلالات معنوية ومكبوتات نفسية دفيئة في أعماق الشاعر.

ونجده في موقع التساؤل عن الشيب بعد معاناة وذهاب الشباب ومن شاب شعره بجفوه بين النساء، ومقاطع ومباعد بقوله⁽¹⁾:

تقول العاذلاتُ عَلاك شيبٌ	أهَذَا الشيبُ يمنَعني مَراحي
وما مَرَح الفتى تزوَرُ عنه	خَدود البِيضِ بالحدقِ الملاح
ويصبح بين إعراضٍ مبينٍ	بلا سببٍ، وهجران صُراح
وقالوا لا جُنَاحَ فقلتُ كَلَّا	شِيبِي وحده فيكم جُنَاحي
أليسَ الشيبُ يُدني من مماتي	ويطمعُ من تلاني في رواحي
مشيبٌ شُنَّ في شَعَرِ سليم	كشَنَ القَرَّ في الإبل الصَّحاح
كأنِّي بعد زورته مهيضٌ	أدْف على الوظيف بلا جُنَاح
أو العاني تورط في الأعادي	فسُدَّ عليه مَطْلَعُ السَّراح
سقى الله الشبابَ الغضَّ راحاً	عتيقاً أو زلاً مثلاً راحي
ليالي ليس لي خَلْقٌ معيبٌ	فلا جَدِّي يُذمُّ ولا مِزاحي
وإذ أنا من بطالات التصابي	ونشوات الغواني غير صاح

وتزداد ملامح حزن عند الشاعر هو في أنَّ الشيب صار معرض جفاء وعدم رغبة فيه من قبل النساء، وكأنَّما مبعِد وكالِإبل الجرباء المريضة، فمثَّلها بذلك وهما تمثيل وجداني وتصوير لحالته ليرى نفسه من خلال ذلك التمثيل؛ بسبب بُعده وهجره؛

(1) ديوانه: 199/1.

وليعبر عن مدى معاناته، وهو مشهد مستوحى من الواقع البيئي الذي تحيط به، ولكي يقرّب الصورة للقارئ وكذلك إثارة "تركيبية النص دلالات تناسب الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ساعة انشاده"⁽¹⁾. فكشف في ألفاظه عن مشكلاته تجاه الشيب التي واجهته اثناء حياته، فشكل بذلك الشيب مظهراً من مظاهر الحزن لديه من خلال الألفاظ (ويصبح بين اعراض مبين) و(هجران صُراح) و(شيبى وحده فيكم جنابي) و(مشيبُ شَن في شعر سليم) و(شَن القرّ في الإبل الصحاح) وهذه الألفاظ فيها إشارة إلى عمق المأساة الحزينة والواقع النفسي الذي هو فيه لكنه بعد ذلك كله يحاول أن يجذب الأنظار عن حجم الألم النفسي الأليم يُفصح عن وجه في نفس الشاعر الذي صار غريباً وهذا يعني أن الحزن عميق، يشيء بالألم، والحركة الداخلية ولو دققنا في جسد الأبيات على مستوى انسجامها وتماسكها وتفاعلها بإيقاع الحزن، لأدركنا بأنّ الأبيات تتأسس على الانسجام والتلاحم في ابراز الهم تجاه الشيب ، ممّا يعني أن ايقاعها الدلالي في بوتقة لواعج النفي، وأرق الأزيمة النفسية، وهذا ما يدل على تكثيف الدلالة وعمق الشعور بمستنبطات الداخل للشاعر ، وما يضره من أحاسيس مؤلمة عبر دلائل وقرائن تشي بملفوظات واضحة بينها تدل على الأسى والاحترق.

بكاء الأحبة:

الشاعر عندما يبكي على شخص لا بد له من عوامل حزينة تستدعي ماهية أفكاره وتعلقاته بالشخص الذي كان يحبه ومن ثم يفترقه بلحظة مفاجئة وهذا ما يؤدي إلى جعل من نصه الشعري عوامل العاطفة الجياشة بالدرجة الأولى وهي تُترجم عبر محطات البكاء والرتاء بقصائد تكاد تكون نادرة فكيف ببكاء حبيب وقريب وشقيق وعزيز على نفس الشاعر؛ لأنّ "رحيل الحبيب وترك الديار أمر طبيعي قضت به قوانين البيئة، بل عند الرحيل يتجلّى الحب والتعبير عنه، ففي ساعة الوداع وفي لحظة الفراق تتفجر العواطف، أي تتضح أشكال السلطة المستبطنة في شعور الرجل،

(1) الشكوى في شعر سبط ابن التعاويذي، د.فارس ياسين الحمداني، مجلة آداب الرافدين، العدد

فضلاً عن أن الحبيب عند الرحيل يبقى موجوداً، وحيّاً⁽¹⁾. معبرة بذلك آهات ولواعج حبه وتعبيره عن نفسه ومشاعر من حوله من الناس في لحظة الرحيل البكاء وهنا ما يعبر بالبكاء الذي هو شكل من أشكال الانكسار فضلاً عن ضعف الإنسان باتجاه من يتفقد من الأحبة والأعزاء، وتبقى آثاره ومناقبه على شواطئ الروح تشعشع بين جنبات الكلمات ومحاسن صفاته التي يذكرها الشاعر فيما بعد؛ إذ تبقى المشاهد الحزينة وبكاء الأحبة وسيلة لنقل المشاعر وترجمتها على شعر الشاعر في بكائه على أحد زعماء آل البيت تاركاً لحروف العيون دماءً في قوله⁽²⁾:

على مثله تُذرى العيونُ دماءً	فلا يحتشم باكٍ عليه بكاء
وقل للذي سحت شؤون دموعه	دع الدمع يجري كيف شئت وشاء
ولا تمنع الأجفان سحاً فكلما	هرقن الذي فيهنَّ عدن ملاء
فما اليوم إلا يوم حزن ولوعة	فخل حراناً في الاسى وإباء
وان كنت طوعاً للحياء فلا تطع	بجذك في هذا المصاب حياء
وناد نصيحاً: لا أحب نصيحة	وقل لمعز: لا أريد عزاء
أمن بعد فجع الموت بابن محمد	وكان كصدر المشرفي مضاء
أرجي بأوطان العدامة ثروة	وآمل في دار الفناء بقاء
دفنت الإخاء العذب لما دفنته	فلسْتُ بباغ ما حييت إخاء

يبدو أن البكاء دون تحفظ هو سمة وعلامة على مدى الأثر الذي تركه الشخص الذي مات فالشاعر أطلق العنان للعيون بالبكاء من غير حياء؛ لأنَّ هذا اليوم هو يوم الحزن الكبير يوم الحران لهذا المصاب الجل وللوعة الباكية لا فيه حياء من أحد من دون الاستماع إلى النصائح التي تدعو إلى الصبر وربما حتى رفض للمعزين؛ لأنَّه في دومة البكاء والهم والانكسار على فقد أحد الاخيار وهو من ثرواتها التي لا تقدر بثمن فبعد ذلك المصاب لا آمل في البقاء في وطن العدامة؛ لأنَّ فقيدنا هو ذلك

(1) رثاء النساء في الشعر العباسي، أ.د. فلاح حسن كاطع، 19.

(2) ديوانه، 161.

العذب الذي لا يمكن تعويضه بأي سبب من الأسباب؛ لذا تصاعدت وتيرة الفاجعة ومن البيت الأوّل التي آلمت بالشاعر نتيجة موت عزيزه فصدق العاطفة عند الشريف المرتضى جعل من بكائه في إيصال المعنى إلى المتلقي، فهو حزين على من فقد الذي ترك وراءه سيل من الدموع والأجفان سالت وغرقت من البكاء، فشبّه ذلك اليوم بيوم (الحزن واللوعة) والملاحظ أنّ الشاعر استعمل الأفعال الماضية والمضارعة وحتى أفعال الأمر (تذرى، يحتشج، سالت، دع، شئت، تمنع، هرqn، عدن، فخل، أحب، تطع، أريد، أرجي، أمل، دفنت، حسيت) فالأفعال الماضية دلت على تحقيق الحزن أما المضارعة فهو استمرار البكاء وهذا ما تحقق أيضاً في سيرورة البكاء، أمّا أفعال الأمر دلت الزام الأجفان بالبكاء، فضلاً عن الحركات المضطربة ممّا يدل على الاضطراب النفسي داخل ذات الشاعر وهو يبث حزنه على من فقده فكان الحزن حاجة نفسية ملحة أو ربّما عن طريق بث الحزن والبكاء يجد تخفيفاً من دون حياء بما يطلقه من صيحات، ودعوات للبكاء تجعل المتلقي يعلم أن "الصورة في القصيدة تبدو ذا علاقة بالعاطفة المنضوية في القصيدة"⁽¹⁾ إذ برزت قدرة الشاعر في هذه الأبيات من خلال تحويل بواعث الحزن إلى لعبة فنية مشحونة بطاقات العاطفة بدلالة أعمق من الدلالة الحرفية، إذ يستطيع الشاعر أن يحوّل بواعث الحزن لتكون دلالات تحمل في ثناياها أبعاداً وظيفية أكثر ممّا تحمل من صور بصرية فقط، فالحزن لا يدخل في نسيج النص الشعري على مستوى التركيب فقط، وإمّا يتعدى ذلك إلى مستوى الدلالة أيضاً.

وتتوالى ملاح الحزن في قصائد الشاعر نجد ذلك بكائه على النقيب أبي الحسن محمد بن الزينبي إذ يقول⁽²⁾:

ألا بكّها أم الأسى والمصائب بدمعك سحاً بين سارٍ وساربٍ
وعاصي الذي لم يهم ماء جفونه على فقد ماضٍ أو على إثر ذاهبٍ

(1) الشعر والتجربة، أرشيب لومكلش، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، راجعه: توفيق صايغ، دار اليقظة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، بيروت-نيويورك، 1963، ص 60.

(2) ديوان الشاعر، 15.

ولا تغرني بالصبر، فالصبر ما له
مصاب هوى بالشّم من آل هاشم
ولم يمض إلا بالشّواة عن الشّوى
وناع نعى نفسي ولم يدر أنه
ولما توفي الزينبي محمد
نفضت من الخلان كفى بعده
وغاضت دموعي في الشّؤون فلم تسل
طريقاً إلى ما في الحشا والترائب
وضع ركناً من لوى بن غالب
ولم يرض إلا بالطّلى والذوائب
نعاهها فاعزاهها بدم ترائب
وسارت بما لاقاه أيدي الركائب
ولوئيت عن دار الأخوة جانبي
على الذاهبين بعده والذواهب

يبدو أنّ الشاعر استهل النص الشعري بألا الاستفتاحية من أجل لفت انتباه القارئ والسامع ولاسيما إطلاق الصوت بألف المد ليظهر مكبوتاته المعبرة عن ألم المصيبة التي مرت به معبراً عن ذلك بالبكاء؛ إذ فعل الأمر بعد الاستفتاح يفيد المبالغة في الأسى وغزارة الدمع وربما يكسب رغبة القارئ من أجل المتابعة معه في بواعث حزنه لوصف الحالة الشعورية في الأبيات الشعرية التي وردت ليصل إلى تعظيم الفقد الذي فقده؛ لأن الصبر هنا ليس له مجال ولا طريق في حالته وحالة الاحشاء الداخلية المأزوم فيها الشاعر، فالأمر جلل؛ لأنه نفّض من الخلان بعده حيث لا خل في دار الأخوة إلّا الذي كان معه وهو محمد الزينبي، فالدموع لا تسال إلّا عليه أمّا غيره فلا سؤال على الذاهبين بعده والذواهب، فضلاً عن ذلك كان لأدوات الجزم والنهي علامات محورية تجمع باقي العلامات الأخرى للفقيد، ولربّما هنا دائرة الإشعاع البكائي للشاعر، والدلالي في ذات اللحظة "لأنّ الكلمة توجد في مرة تستعمل في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها والسياق هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها"⁽¹⁾ فمشاعر الشاعر التهبّت بالحزن وفاضت الدموع بكاءً ولوعة داخل النفس فوجدنا الشاعر اتجه

(1) البّئات الاسلوبية في الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني، منشأة المعارف، القاهرة،

بشعره إلى أن يخرج من صدره الألفاظ الدالة على ملاح الحزن وبواعثه في معاناته تجاه من فقد من الأحبة؛ لأنّ الدموع في الأبيات المتمثلة (بدمعك سحاً) و(ماء جفون) و(فاضت دموعي) جزء أساسي في التصوير الشعري، فهو ليس خالياً من الدلالة النفسية والوجدانية، وإنما مرتبط بموقف نفسي يبعث على الألم والحسرة؛ لأنّه يغدو تجسّياً لعالم الذات والمؤثر، وتكثيف الشاعر من الألفاظ الدالة على الأسى والحزن يكشف عن رغبة قارة في نفسه يبغى من وراءها التأكيد والمبالغة على كراهية الفقد من جانب، والتمتع مع من يحب وتوحي من جانب آخر، وقد كرس ذلك في مثل هذه الرؤية التي سعى الشاعر لتوكيدها وترسيخها بشكل أو بآخر.

ويبقى الحزن عند الشاعر الشريف المرتضى متعلقاً بسياق الحديث بكاء الأحبة، وعمل الحزن دلالات متعددة نفسية واجتماعية، دلالة أولى توحي بالعبرات والألم ودلالة أخرى تؤكد بقاء الشاعر أمام ذاك الفراق فالحياة منية لا خير فيها والبقاء فناء، يقول الشاعر (1):

فإن يكّ قومٌ وصلة لجهنم	فأنتم إلى خلد الجنان رشاء
دعوا قلبي المحزون فيكم يهيجه	صباحٌ على أخراكم ومساء
فليس دموعي من جفوني وإنما	تقاطرن من قلبي فهنّ دماء
إذا لم تكونوا فالحياة منية	ولا خير فيها والبقاء فناء
وإما شقيتم في الزمان فإنما	نعيمي إذا لم تلبسوه شقاء
لحا الله قوماً لم يجازوا جيلكم	لأنكم أحسنتم وأسأوا
سقى الله أجدثاً طويت عليكم	ولا زال منهنّ بهنّ رواء
يسير إليهن الغمام وخلفه	زماجر من قعقاعة وحذاء

إنّ فعل الأمر دعوا هو فعل إرادي قصدي يعكس مدى الحزن الذي يهيجه في الصباح والمساء فالدموع هي تخرج من قلبي كأنهنّ دماء ، فشبه الشاعر تلك

(1) ديوان الشاعر، 159.

الدموع المؤلمة بدماء تخرج من قلبه دلالة على تجرح الألم المصاب لفقد الأحبة عن حمل فامتلك النص تصوراً كنائياً عن الاستحالة والتعجيز واليأس، فأفاد الاستحالة من حصول الشيء فليس من المعقول ان نرى دماء تقطر من قلبه. والملاحظ على الشاعر استعمال الافعال من البداية إلى النهاية دلالة على الحركة والتسارع مما يدل على الاضطراب النفسي الحزين داخل الشاعر وهو يكشف عن مدى بكائه وألمه تجاه من فقدهم من الأحبة، فكانت ابياته الحزينة بما يطلقه من الفاظ دلالة على البكاء والحزن، تظهر جلياً فيها ذاته وتكشف عن مدى آلامه في قلبه فشبه قبورهن بالمنهل الذي فيه الدواء بأسلوب المجاز والتشخيص الذي يسير الغمام إليهم، فصار للنص فاعلية كبيرة بشكل أكثر ولاسيما في وجود (التشخيص) داخله فبالصورة تلك وطد الشاعر أعمدة التشكيل الحزين وخضعت لتخطيط هندسي من الشاعر خدمة لبواعثه الحزينة، العاطفة التي شكلت الحزن العميق ولقد كانت "الدموع اللسان الصامت للشاعر، مثلما كان الشعر اللسان الناطق لعواطف الشاعر المحبوسة على الأسى والشجن"⁽¹⁾ ولا ننسى صيغة الأمر بالدعاء في البيت قبل الأخير سقى الله فهي دعوة الشاعر للتأمل من أجل الوصول بالفارئ إلى إدراك علاقات المشابهة بين الموصوفين وما شبههم به في البيتين الأخيرين وهي بمثابة محفزات لفظية تأثيرية في نفس المتلقي؛ لذا فإن النفس هي التي تكونت وتلوعت وتألمت أراد من ذلك كله أن يجعل من حزنه صفة لشيء عزيز أو حالة قد يراد بها تأكيد المعنى المراد، وإبراز أهميته وشدته وهذا ما رأيناه في سياق الأبيات المذكورة آنفاً.

ثم يرسم لنا الشاعر صورة حزينة صورة الاضطراع بين الإنسان والقدر ولاسيماً في قوله في رثاء أحد أصدقائه⁽²⁾:

اتمضي كذا ايدي الردى بالمصاعب	وتذهب عنا بالذرى والغوارب
وتستلب الآسأء وهي ملظة	بأخيأسهن من أعز المسالب
وتؤخذ منا من وراء سجوننا	بلا رأي بواب ولا إذن حاجب

(1) رثاء النساء في الشعر العباسي، أ.م.د.فلاح حسن كاطع، 87.

(2) ديوان الشاعر، 146.

وتقنص فينا روح كل محارب
أيا صاحبي إن كنت في إثر من مضى
دع الفكر الإ في الحام ولا تقم
وان كنت يوماً بالحديث معللاً
فلي شغل عمن أقام بمن مضى
وناع لسيف الدين أضرم قوله
وجاء بصدق غير أنني إخاله
فاتكلني طيب الحياة وضمني
فيالك من رزء ازارني الأسى

أبي جريء وهو غير محارب
على مثل حالتي فإنك صاحبي
مع الحرص في دار الظنون الكواذب
لسمعي فحدثني حديث النواذب
وعن معجبات رُقننا بالعجائب
ولم يدن ما بين الحشا والترائب
خداعاً لنفسي، إنه قول كاذب
إلى جانب الأحزان من كل جانب
وعرف ما بيني وبين المصائب

يتحدث الشاعر الشريف المرتضى هنا عن المصائب التي يمر بها الرجل من ألم الأحزان وأن الموت ينتشل الأقوياء والرؤساء، والزعماء، وهؤلاء يشبههم بالأسود في عرينها أي هم في أماكنهم يأتيهم الموت ويصطاد أرواح الأبطال الأقوياء من غير أن يدخلوا المعارك، فإنه تحدث عن العنصر الحزين، وهو يخاطب الأصدقاء إن كان حالهم كحالي من الحزن فلا تفكروا إلّا بما يفعله الموت ولا تعتنوا بهذه الدنيا التي لا أمان لها، وإذا كنتم تسألوني بالكلام المعسول وتعزوني بدعوه وباسطوني بأحاديث المصائب؛ لأن كل من نعي بالسيف سيزيد ألمي وحزني ويلهب صدري فلا حاجة للذات الدنيا فإنني فقد فقدتها بسبب الاحزان المتراكمة لأنني قد منت سابقاً في منأى عن الاحزان، فجاءني هذا المصاب؛ ليعرفني بكل ما يؤلم ويوجع ويؤذي. وهذه الصورة الحزينة توحى بأيقونة مؤلمة عند الشاعر في تصوير المشهد، واسقاطه على حاله. وزادتها دلالة الأفعال الماضية والمضارعة وأفعال الأمر التي انتابت الشاعر؛ إذ حضره المصاب لذلك الفقيد، بعد تأمل صفاته ومكانته في مكانه وهو أحد الزعماء الرؤساء؛ وذلك التأمل في شخصية الفقيد ما هو إلا صورة

واقعية مؤلمة المفاجئ وغير المتوقع لكل ما قام به الشاعر من قراءات ومشاهدات وتأملات، أو لما عاناه من تحصيل وتفكير هو الهام يعدُّ نضجاً مفاجئاً⁽¹⁾.

فقد توزعت على قالب الأبيات عاطفتان: الأولى هي عاطفة الحزن المعنوية التي انتابت الشاعر حين غاب الفقد عنه، والثانية عاطفة الشعور والألم بعد صفات الفقد الذي لا يعوض لكن سرعان ما تتحول إلى عاطفة لشجاعة المفقود ومكارم أخلاقه وصفاته التي تكشف عن وجه الحبيب في تعامله أثناء حياته لربّما جعلت الشاعر يتفاعل مع الذات الباكية الحزينة مع الصورة ودلالة الأفعال وحركتها والاستفهام والنداء في نهاية الأبيات بحيث نلمس الأبعاد الزمانية الثلاثة الماضي، الحاضر والمستقبل في وحدة واحدة. وخلال ذلك لا بدّ من فوارق شعورية وعاطفية تتكشف في لحظة دون لحظة، وفي زمن دون زمن، ولكنها ستجمع في النهاية وحدة فنية واحدة وموقفاً شعورياً مترابطاً داخل التشكيل الممتد للصورة الشعورية التي أكّدها الشاعر بشكل متكامل ومتناسق ومنسجم مع طبيعة الحال⁽²⁾ فبذلك الحديث تبين أنّ الشاعر قد هبط هذه الهبطة الحزينة من شدة الألم، وحتى يمثل دخوله في المفاجآت فإنه ذكر الفاظاً هي بمثابة علامات وآليات تدخل على مدى الصراع الذي كابده في رحلته الحزينة مع الفقد العزيز على قلبه وهي رحلة عكست عنه القوة. لقد مثل الحزن في شعر الشريف المرتضى عنصراً أساسياً من عناصر البناء الشعري، فليست دلالة أو ملامح الحزن عملية هامشية بعيدة عن الوعي والادراك في كثير من الأحيان، وإنّما هي عملية ذات طابع قصدي تعكس أبعاداً نفسية أو اجتماعية في بعض الأحيان⁽³⁾ ومن ثم تكون تلك العملية الشعرية الحزينة مؤثرة في نفس المتلقي بصورة مباشرة وغير مباشرة.

(1) ينظر: الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، 12.

(2) ينظر: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، إبراهيم الحاي، ص 226-227.

(3) ينظر: جماليات اللون في القصيدة الشعرية، محمد حافظ ذياب، مجلة فصول، مج5، ع2،

1985، ص 46.

- ❖ إنَّ الشاعر العباسي في القرن الرابع للهجرة مثل لملاح الحزن أشكالاً متعددة ما بين مشهد عظيم ، ومشهد أليم، ومشهد حزين، ومشهد سقيم، كلها صبت في موضوع واحد هو الألم ، والتوجع على من فقد من حبيب ، ومن عزيز ومن صديق، وبذلك أدت تلك المشاهد الحزينة إلى معنى البكاء المرير الذي قصده الشاعر.
- ❖ نجح الشاعر في اختيار الألفاظ والدلالات التي ضمنت معنى الحزن بكل تفاصيله؛ إذ حملت قيمة جمالية لمعنى اللفظ الذي استعمله بصورة مباشرة وغير مباشرة ، ولاسيما الألفاظ ذات التأثير في نفس المتلقي إذ كانت بمثابة بوتقة وأيقونة أليمة في نفس من يقرأ، ولذا حققت نوعاً من التفاعل والانسجام والتنسيق في الكلمات والحروف والعبارات الحزينة.
- ❖ جسدت بواعث الحزن وملاح الحزن المعرفة الحسية التي تركز إلى البعد الوصفي أي على مستوى الصورة البؤرية للعين التي ترى فضلاً عن وصف ذلك في تشكيل صوراً مرئياً باللغة التصويرية الحزينة المؤلمة ثم يحكمها بتفاصيل من خياله كي يجسد تلك المعاناة الأليمة على حبر دفتره الشعري ومن ثم التأثير في نفوس المتلقين.

References

- Abu Bakr Al-Razi, Mukhtar Al-Sahah, 1967, 167.
- Dalal Hashim Karim Al-Kinani, The Poetic Image in Virgin Spinning, 2010, 111.
- Ibn Manzoor, Lisan Al Arab, 1970, 612.
- Ibrahim Al-Hawi, The Movement of Modern and Contemporary Criticism in Arabic Poetry, 2009, 227.
- _ Ahmed Jar Allah Yassin, The Impact of Drawing on Free Iraqi Poetry, PhD thesis, 71.
- _ Al-Fayrouz Abadi, Al-Qamos Al-Muheet, 12969, 64.
- _ Ali Sarhan Al-Qurashi, The Mentality of the Text in Hamza Shehata's Letters to His Daughter Sherine, Marks in Criticism Magazine, 514.
- _ Al-Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi, Book of Al- Ain, 1970, 161.

- _ Archib Lomklech, Poetry and Experience, Arab Awakening House in association with the Franklin Foundation, Beirut-New York, 1963, 60.
- _ Fares Yassin Al-Hamdani, The Complaint in the Poetry of the Sibt of Ibn Al-Ta'awidi, Al-Rafidain Arts Journal, 2017, 129.
- _ Issam Shretah, Dialogue Files in Poetic Modernity: Bushra Al-Bustani Dialogue File, New House of Hope, 2012, 359.
- _ Muhammad Hafez Diab, Aesthetics of Color in the Poetry, Fosoul Magazine, 1985, 46.
- _ Mustafa Al-Saadani, Stylistic Girls in Modern Arabic Poetry, Manshaat Al-Maarif, Cairo, 1990, 79.
- Issam Shretah, The Aesthetic Thought of Contemporary Modernity Poets, 75.

The Traits of Grief in Al-Shareef Al-Murtadha's Poetry

Hamad Mohammad Fathi*

Abstract

This research deals with the traits of grief in Al-Shareef Al-Murtadha's poetry. It is an attempt to consider his grief poetry, the tools he uses to achieve this effect, and their functions. In the research, grief is viewed in two themes: first, lamentation of senility symbolized by grey-hairedness; second, lamentation of lovers. His poetry shows a lot of factors and references, through which the poet expresses his grief, drawing painful imageries and paintings, depicting in a varied way, the sensed pain and heartache, the thing that enriched his poems with tearful images.

Al-Murtadha's language is abundant with harmonious moving grief images and scenes, homonymous and heterogeneous varying from a text to another, that can be analyzed and interpreted

*Asst. Prof./ Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Mosul.

directly or indirectly. Each text contains a lot of meanings, which bear different implications, suggestions and references that give the text distinctiveness, in addition to the other surface and deep themes and poetic features.

Key words: image, poetry, fiction.